كلمـــــة المعلمين

ما أشد ما يغتبط المحزون اليوم ، والتعليم الالزامي يشغل هذه المكانة الرفيعة ، ويبدو بين مرافق الأمة أظهرها وأخطرها : مسته يد الوزير النابه فأرسلت عليه شعاعاً قوياً من نور واضح وضاء ، ومضت العيون البصيرة تفحصه . والعقول الراجحة تقتضاه وتتبينه ؛ وانطلقت الأقلام الخبيرة تتحسس مواضع الداء وتصف الدواء . وأمر الوزير فتحركت التجريدة العلمية واثبت رجالها فى أقاصى البلاد يمكنون للمعرفة ، ويهيئون الجو للثقافة المنتجة . ويقطعون الطريق على الجهالة البغيضة والأمية الفاتكة

ومن قبل وجهت العناية للتعليم الالزامي ولكن كانت عناية بالكم لا بالكيف لذلك ذهبت جهود ، وتبدد زمن ، وضاع مال . ثم لم تتحقق الآمال .

وكان من أعز أمانى الشعب أن يتعلم ، وأن ينال سواده ثقافة تصل حاضره العتيد بماضيه المجيد ، وتهيء له بين الأمم مكانة تتناسب وما يطمح إليه من رفعة ، وتتكافأ وما يصبو إليه من عزة ، وسادت - واحسرتاه - فى بعض الأرمنة الغريبة فكرة تستكثر على الشعب أية ثقافة واقترنت فكرة التعليم الالزامي بالاشفاق والعويل والحذر من أن يهجر التلاميذ الحقول ! ! - وما تدرى إلى أين يدعون - وكم دعا الداعون إلى أن يأتى الأولاد إلى مدارسهم حفاة ! ! فما ينبغي أن يعرف الفقراء ليس الحذاء . وما يصح أن يصبح الفلاح فى مصر الجديدة ، كالفلاح فى الدنيا الجديدة ، فكما يجب فى زعم هؤلاء أن ينشأ الفقير بائساً محروماً ، فكذلك يتحتم أن تبقى الأمم المتأخرة متخلفة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها

عن هذه الفكرة كانت تصدر كل شئون التعليم الالزامي . فعاهد هذا التعليم ما ينبغى أن نسمى مدارس وإذا يطلق عليها « مكاتب » فالمدارس مكان الدراسة وما شأن هؤلاء بالدراسة ، إن كل ما يسمح به لهؤلاء أن يعرفوا طرفا من القراءة والكتابة فأن راموا أكثر من ذلك فليمكثوا معظم الزمن على حفظ جانب من الكتاب الكريم . ولن يتسع لهم الزمن بعد ذلك لأن يفترقوا من مناهل الثقافة العصرية إلا قشورا لا تليث أن تتبخر لأنه لم يتهيأ لهم أن يعبوها إلا مسا خفيفا

ولقد سلطت على هذا التعليم عوامل تما كسه وتنقص من أطرافه ، فبعض جهال الأعيان فى ناحية ينذرون بالويل والثبور إن تعلم أبناء الشعب ، ويتنادون بأن مصير الحقول إلى الجدب والهلاك . وآخرون ممن يدعون الغيرة على الدين انطلقوا من ناحية أخرى يذيعون فى الناس أن الخطر يحيق بالدين إن لم يصبح أبناء الشعب جميعا حفاظا للكتاب الكريم .

فإذا أرسلت العناية الالهية للشعب وزيرا نجيبا تشغل الوطنية كل فؤاده ، وتدفعه إلى

التفكير فى نشر النور بين سواد شعبه فحق للشعب أن يستبشر وأن يتوقع الخير الكثير وهذا هو شعور الشعب المصرى الآن يشترك فيه أبناء الوطن جميعا والمعلمون من بينهم ويزيد فى ابتهاج المعلمين أنهم يرتبطون بالتعليم نفسه ، يرتفعون برفعته ، ويعظم شأنهم بعظمته فهم من أجل ذلك يفرحون وتهتز نفوسهم لكل بحث موفق يقصد به إلى صلاح هذا التعليم ولو كان فيه ما يسوءهم

على أن الباحثين إلى اليوم أجمعوا إلا قليلا منهم على أن ضعف إنتاج التعليم الالزامى إنما مرده إلى أشياء لا تتصل بالمعلمين فى قليل ولا فى كثير

وإذا كان البعض قد عرض لثقافة المعلمين وعدم كفايتهم فأننا قبل كل شىء نحب أن نؤكد لهذا البعض أننا لا نبنى فى البحث عن وسائل نزيد بها من ثقافتنا ونرفع بها من كفايتنا ، وهذه صحيفتنا شاهد عدل على ما نقول — غير أننا نوجه نظر من يقول بذلك إلى أننا بصدد تعليم أولى فقد لا يشترط أن يكون معلموه من خريجى الجامعات وحائزى الدرجات العلمية وحسب معلميه أن يحذقوا فنهم ، وأن يكتسبوا مرانا على أداء مهمتهم مع تحصيل قدر مناسب من الثقافة هم أو أغلبهم على الأقل بالقدر الآن .

وإنا لنشك كثيرا فى أن حاملى الاجازات العليا من الجامعات يستطيعون اعتماداً على ثقافتهم العالية أن يضطلعوا بمثل هذا العمل ويتحملوا ما فيه من مشقة ثم ينتجوا فيه نتيجة حسنة .

وقد استطاع معلمو هذا التعليم من قبل أن ينهضوا بمثل عملهم قبل أن ينشأ التعليم الالزامى ، فما طعن طاعن فى كفايتهم ، ومن هؤلاء المعلمين من استخدمتهم مجالس المديريات للتدريس فى مدارسها الابتدائية فأتوا بأحسن النتائج واستأهلوا أعظم الثناء ، وإلى مستهل هذا العام الدراسى كان معلمون من هذا النوع نفسه يعملون فى المدارس التحضيرية للمعلمين فكانت نتائجهم الباهرة تستلفت النظر ، وطلاب مدارس المعلمين يؤدون مع زملائهم طلاب المدارس الثانوية امتحاناً واحداً فيمتازون بنسب عالية فى النجاح ، ولئن صح أن هؤلاء الخريجين الذين يتولون التدريس فى حاجة إلى ثقافة أزيد تتصل بعملهم فما نظن أن هذه الزيادة تعدو التوسع فى دراسة التربية وعلم النفس .

وقد أجمع الباحثون إلى اليوم على سوء حالة المعلم وضرورة تحسينها ، ويسر المعلمين أنهم صبروا على غبن لم يختلف فى شدته أحد اللهم إلا كاتب أريب دبج عدة مقالات فى افتتاحية السياسة الغراء ذكر فيها أن المعلمين يحسدون على رواتبهم ، وأن كثيرين ممن تعلو ثقافتهم عليهم لا يستطيعون الحصول على مثلها ، ويظن المعلمون أن الكاتب الأريب يوافقهم على أن هؤلاء المثقفين ثقافة عليا الذين يرضون بالدون من الأعمال والحقير من الرواتب لا يشترط أن

تقدر الأمة أو الحكومة عملهم بثقافتهم ولكن بنوع العمل الذى قبلوا أن يعملوه : فليس ضروريا أن يكون الساعى أو الحاجب الذى يحمل إجازة عليا فى الفلسفة أو الحقوق أو الزراعة خيراً من منتبه الذى لم يتعلم إلا التعليم الأولى بل وغالبا كان الأمر على العكس تماما على أن قبول الشبان ذوى الثقافات العالية الحقير من الأعمال والرواتب فى مستهل شبابهم هو دائما قبول موقوت، ويكون لضرورات طارئة ككثرة الخريجين والأزمات المالية . وما كان هذا خليقاً بأن يقضى على المعلمين أن يبقوا طبلة أعمارهم بدون أمل يحفزهم لاداء واجبهم ويخلق روح التنافس فيهم ويعينهم على العيلة إذا كانوا أعجاب أسر .

ولئن كان الكاتب الفاضل يقول إن كثيرين من المعلمين فى مواطنهم أو قريبين منها ، فالحق الواقع أن الذين فى بلادهم نفسها لا يتجاوزون العشرة فى المائة من المعلمين ومثل هؤلاء تقريبا يعملون فى بلاد قريبة من مواطنهم الأصلية ، وهم إما أن يسكنوا فى محال عملهم وحينئذ فالبعد والقرب لديهم سواء ، أو يسكنوا فى بلادهم ويتكبدون فى هذه الحالة نفقات الانتقال على الدوام .

على أننا لا ندرى ما الذى سيكسبه الموظف ماديا من قربه إلى موطنه إننا لنعلم فى الأغلب الأعم أن هذا القرب يتطلب من المعلمين أن يعولوا فوق أسرهم الخاصة بعض ذوى قرباهم الأقربين فيضيفون إلى أحمالهم أحمالا أخرى ! ! وإن وجد من المعلمين من ينتفع بإيراد خاص من شىء يملكه فى بلده فإن هذا لابد أن يكون نادرا جدا، وما سمعنا بأن الحكومة تقدر رواتب أى فريق من موظفيها على أساس ما قد يكون لهذا الفريق من مال أو عقار .

أما ما يقال من أن مطالب المعلمين فى الحياة محدودة فهم كذلك لا يطلبون درجات عالية تصل بهم إلى حياة الترف والنعيم ، ولئن رجوا أن يصلوا باجتهادهم إلى مثل هذا ما كانوا قد ارتكبوا شططا ، فهم فى هذا الوطن مواطنون لهم أن يطمعوا فى العيش الرغيد والحياة الطيبة

وبعد فليمض معالى الوزير فيما هو مقدم عليه من إصلاح والمعلمون فى انتظار هذا الإصلاح الشامل مطمئنو النفوس : واثقون إلى أبعد حدود الثقة بأن هذا النشاط الميمون سيعود عليهم وعلى الأمة بالخير العميم

محمد الجوهرى عامر
وكيل الاتحاد